الحكم على الشعر
وأساليب النقد والتحليل

للدكتور محمد صبري

الشعر أعلى وأدق تعبير الحياة وقد وصفه أحد شعراء الإفرنج بأنه « لآلئ الفكر » ، وهو يتصل بخياله وأوزانه بالتصوير والموسيقى اتصالاً وثيقاً ، فلا بد من الحس المرهف للحكم عليه ، ولا بد من « الذوق » ، وقليلون جداً من يتذوقون الشعر و « يحسون نبو الوتر » ، وهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد في كل عصر وفي كل جيل . ومهما كان من الأمر فإن التذوق درجات تتفاوت وتختلف باختلاف الأمزجة ، والتمرس بالآداب المختلفة ، والخبرة والاستعداد الشخصي . فالشاب المتعم الذي لا يعرف متاعب الحياة ويجهل حب البنين ، ليس في مقدوره أن يحس لواعج الحزن وعولة الحياة في رثاء ابن الرومي أو الهذلي لبنيه ، ولا يفرق بين غناء العود ورأنينه ، وهو لا يستمع إلا بأذن صماء إلى بكاء الطير في الذوح ، ونحيب البلبل في الغاب ، وحنين الجمال في البيداء

العجب أن تختلف البواعث والأسباب ولا تختلف الأعمال والآثار

ومع هذا كم يقول النساء عن تناقض الرجال ولا يخطئن المقال ؟ كم يقلن إن الرجل « كالبحر المالح » لا يعرف له صفاء من هياج ؟ وكم يقلن إن فلاناً كشهر أمشير لا تدري متى تهب فيه الأعاصير ؟ وكم تقول إحداهن للأخرى : « حبيبك في ليلك ، عقرب في ذيلك ؟ » وكم لهن من أمثال هذه الأمثال مما لا يحفل به الرجال ؟

إنهن لا يعنين بمقاربة الرجل من طريق الفهم كما ، نين بمقاربته من طريق التأثير . ولو حاولن فهمه كما يحاولن التأثير فيه لخرجن به لغزاً من الألغاز وأعجوبة من أعاجيب البحار في قديم الأسفار .

عباس محمود العقاد

حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا
إن الغريب يسعد الغريبا

والشعر في اعتقادي كالحبة التي أودعها الخالق قوة هائلة مركزة تركيزاً عجيباً مادياً وروحانياً ؛ فمن الحبة تخرج الحياة ، ومن حدودها الضئيلة تنبت وتتفرع وتنتشر الشجرة بظلها وجناها ، فليس في مقدور كل أديب الإحساس بتلك « الهيولى » الساحرة الماثلة في بيت من الشعر ... في غضون كلمات معدودات ... وليس في مقدور كل إنسان أن يرى جمال الحقيقة وبهاءها ، وفتنة الحياة وجميعها ، وقوافل الإنسانية الباسلة الصامتة المنكسة الرءوس والأعلام ، وهي تطل من البيت والبيتين ...

وقد بكى شعراء العرب أطلال المنازل التي كانت شاهد حبهم وحياتهم في عصر من عصورها ، في لحظة من لحظات السعادة الزائلة ، فلم يبك أحدهم الحياة في أوسع آفاقها وجنّاتها الخاوية مثلما بكاها البحتري وهو واقف « بين يدي الإيوان » وبين يدي الله . ولم يندب أحد بعد امرىء القيس الطلل البالي وسكونه . ووحشته بعد الأنس والحياة والحركة والضوضاء وبهجة الألوان ، والوجوه والظلال والأشباح ، كما ندبها البحتري في قوله :

تلك المنازل ما تمتـــع واقفا
بزها الشخوص ولا وغى الأصوات

ولأبي تمام بيت رائع من هذا القبيل كان يتغنى به المرحوم حافظ إبراهيم في غاب بولون ، وقد صحبته إليها حين زار باريس :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتقضت الأوطار

فهذا الشعر يمثل الحقيقة لأنه صادر عن وجدان صادق ، وعاطفة وتجارب مرة ، وقوة ملاحظة وتصوير ناطق ، وقد امتاز امرؤ القيس بحب الحقيقة وتصويرها في أبهتها وجلالها وروعتها فأصبح عاهل الشعر حقاً

ولا ريب أن أروع شعر أبي تمام هو الشعر الذي ترسم فيه الحقيقة ، لا الشعر الذي ملأه بديعاً وتكلفاً ، وإذا كانت أشهر مراثيه قصيدة :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وفيها يقول :

تردى ثياب الموت حمراً فما دجى
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فإن هناك قصيدة أخرى هى فى اعتقادى أروع منهـا وأجل ، وهى القصيدة التى رثى فيها ابنه ، ووصفه وهو يتقلب على فراش الموت ويعانى آلامه :

آخر عهـدى به صريعا ... للموت بالداء مستكينا
إذا شكا غصـــة وكربا ... لاحظ أو راجع الأنينا
يدير فى رجعـــه لسانا ... يمنعـه الموت أن يبينا
يشخص طوراً بناظريه ... وتارة يطبـــق الجفونا
بُنَىَّ يا واحـــد البنينا ... غادرتنى مفرداً حزينـا

وقد ذكر شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين الطبيعة فى شعرهم ، ولكن الجاهليين الذين كانوا يعيشون فى البادية والفضاء الرحب ، والماء والغـاب والوهاد والنجاد والصخور والكثبان والسيول والأنهار ، كانوا أصدق عاطفة فى تصويرها من المولدين ، لأن الآخرين لعبوا بالرياض والزهور ومظاهر الطبيعة «السطحية» المنمقة « كالوشى » و «التطريز» ، أكثر من ولعهم بالرياح التى تهب ، وقوى الطبيعة التى تزخر وتصخب ، وتئن فى أحنائها وأفيائها ...

ولعل أكبر صـلة تربط امرأ القيس بالإفرنج وتميزه على شـعراء العرب كافة هى إحساسـه العميق بالطبيعة ، وإنى وإن كنت قد بينت الصلات الأخرى نصاً وتصريحاً ، فإنى تركت هـذه الصلة (صلة الطبيعة) تبدو « من تلقاء نفسها » شرحاً وتحليلاً ، والواقع أن امرأ القيس موهبة من مواهب الطبيعة ، يجب أن ندرسها ونتعلق بها تعلق الإنجليز بشكسبير وتراثه الخالد

وقد حصرنا إلى اليوم همنا فى تنفير الناس من امرىء القيس ، وحصر عبقريته فى الإستعارات بين (بيضة الخدر) و (قيد الأوابد) و (السجنجل) و (العقنقل) ، وتركنا جوهر الشعر اللامع الوضاء دفيناً تحت الرماد

وقد أبدع العقاد فى تحليل شعر ابن الرومي ، وكتب صفحات رائعات ، وقد يكون لغيره فى النقد والتحليل نفثات ، وكل ما نرجوه أن نعمل جميعاً على إظهار مكنونات وكنوز الشعر العربى . وأحب هنا أن أذكر أن « كتابة » النقد والتحليل قد ترتفع إلى أعلى مراتب الكتابة والبيان ، لأن شخصية الكاتب تتجلى فيها ، وهذه الشخصية تبدو فى غضون الكتاب لا فى العنوان . والشخصية تشمل المزاج وقوة التصوير والقدرة البيانية وتجارب الحياة ، وهى كلها ذات أوشاج وصلات مع شعر الشاعر وحياته

وهذا (سانت بيف) أكبر ناقد فرنسى بدأ حياته بالشعر ثم أرصدها للنقد ، فساعده خياله وأدبه وسعة اطلاعه على فهم الشعر والمجتمع ، وصار الناقد فى عبقريته لا يقل عن أكبر شاعر ، كما أن (بول بورجيه) ، وهو من خيرة الروائيين الذين حللوا الحب والحياة ، ساعدته قوة تحليله وفلسفته على كتابة صفحات فى نقد الشعراء المعاصرين هى آية فى الفلسفة التحليلية ، واختراق الستار الذى يحجب الحياة والمجتمع فى شعر الشاعر ، وقد تمكن كل منهما من إظهار تلك الأشعة الدقيقة التى تحيط بجوهر الشعر والفكر والخيال

محمد صبرى

إدارة البلديات
قسم المبانى

تقبـــل العطاءات بإدارة البلديات (بوسـتة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم السبت ٨ أبريل سنة ١٩٤٤ عن إنشاء مغاسل وحمامات بمندر المنيا . وتطلب الشروط والرسـومات من الإدارة على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما نظير دفع مبلغ ١ جنيه و ٥٠٠ مليم بخلاف ٦٠ مليم مصاريف البريد .

٢٠١٢